

لوثر والإصلاح

المحاضرة ٦: الذهاب إلى فورمز

أ.ر. سي. سرول

نتابع الآن دراستنا لِمَارْتِن لُوْتَرِ وَالْإِصْلَاحِ الْبُرُوتِسْتَانِيَّ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ. فِي مُحَاضَرَتِنَا السَّابِقَةِ، ذَكَرْتُ زِيَارَةَ لُوْتَرِ لِهَآيْدِلْبُرْغِ، وَكَيْفَ أَنَّ تِلْكَ كَانَتْ مُنَاسَبَةً رَآئِعَةً لِرِبْحِ الْمَزِيدِ مِنَ الْأَشْخَاصِ فِي أَلْمَانِيَا لِلْقَضِيَّةِ الْلُوثَرِيَّةِ. نَشَأَتْ الْأَزْمَةُ الْكَبِيرَةُ الثَّلَاثِيَّةُ فِي الْعَامِ نَفْسِهِ، ١٥١٨، حَيْثُ إِنَّهُ بَدَلًا مِنْ ذَهَابِ لُوْتَرِ إِلَى رُومَا لِجَحَاكَمَ بِتَهْمَةِ الْهَرْطَقَةِ، جَاءَتْ رُومَا إِلَى أَلْمَانِيَا، بِشَخْصِ الْلَاهُوتِيِّ الْأَقْدَرِ فِيهَا، الْكَارْدِينَالِ كَاجِيْتَانِ.

وَنَالَ لُوْتَرُ وَعَدَا بِالْمُرُورِ بِأَمَانٍ، شَرْطَ أَنْ يَلْتَقِيَ كَاجِيْتَانِ فِي مَدِينَةِ أَوْغْسْبُرْغِ. حَثَّهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ عَلَى عَدَمِ الذَّهَابِ، خَشِيَّةً تَعْرِضُهُ لِلْحَيَاثَةِ وَافْتِيَادِهِ إِلَى رُومَا وَحَرْقِهِ عَلَى الْعُمُودِ بِتَهْمَةِ الْهَرْطَقَةِ، لَكِنَّ لُوْتَرُ أَرَادَ الذَّهَابَ، لِأَنَّهُ أَرَادَ تَحْقِيقَ أُمْنِيَّتِهِ بِأَنْ تَتَسَنَّى لَهُ فُرْصَةُ الدُّخُولِ فِي جِدَالٍ عَقْلَانِيٍّ مَعَ رُؤَسَاءِ الْكَنِيسَةِ بِشَأْنِ تِلْكَ الْمَسَائِلِ.

فِي أَوْغْسْبُرْغِ، كَانَ لِلُوْتَرِ أَرْبَعُ مُقَابَلَاتٍ مَعَ الْكَارْدِينَالِ كَاجِيْتَانِ، وَلَمْ يَتَحَقَّقْ مَا تَمَنَّاهُ لُوْتَرُ. بَدَلًا مِنَ الدُّخُولِ فِي نِقَاشٍ مَفْتُوحٍ، أَصَرَ الْكَارْدِينَالُ عَلَى أَنْ يَتُوبَ لُوْتَرُ أَوَّلًا، وَثَانِيًا، أَنْ يَرْجِعَ عَنِ تَعَالِيهِ، وَثَالِثًا، أَنْ يَعِدَ بَعْدَمَ تَعْلِيمِ تِلْكَ الْأُمُورِ مُجَدَّدًا. فَبَدَأَ لُوْتَرُ يَزِيدُ إِحْبَاطًا، فِيمَا أَزْدَادَ كَاجِيْتَانُ غَضَبًا. لَكِنَّ طُلَّابَ التَّارِيخِ يَقُولُونَ إِنَّهُ وَبَطْرِيْقَةٍ وَاضِحَةٍ جَدًّا، كَاجِيْتَانُ بِمَعْرِفَتِهِ الْوَاسِعَةِ، تَغَلَّبَ فِعْلًا عَلَى لُوْتَرِ، لِأَنَّهُ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَحَايَلَ عَلَى لُوْتَرِ، وَجَعَلَهُ يَتَّخِذُ مَوْقِفًا أَوْقَعَهُ بِوُضُوحٍ فِي نِزَاجٍ مَعَ الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ.

جُزْءٌ كَبِيرٌ مِنْ مُنَاقَشَتَيْهِمَا هُنَاكَ فِي أَوْغْسْبُرْغِ، تَمَحُورَ حَوْلَ كَنْزِ الْكَنِيسَةِ وَمَسْأَلَةِ صُكُوكِ الْغُفْرَانِ، الَّتِي كَانَ لُوْتَرُ قَدِ اغْتَرَضَ عَلَيْهَا فِي إِحْتِجَاجَاتِهِ الـ٩٥. كَاجِيْتَانِ، مُسَلِّحًا بِمَعْرِفَتِهِ لِتَارِيخِ الْكَنِيسَةِ، قَالَ لِلُوْتَرِ إِنَّهُ فِي الْعَامِ ١٣٠٠، كَانَ الْبَابَا بُونِيْفَاتِيوِي السَّابِعُ قَدِ أَمَرَ، بِاسْمِ السُّلْطَةِ الْبَابَوِيَّةِ، بِمَبْدَأِ صُكُوكِ الْغُفْرَانِ بِرُمَّتِهِ وَبَيْعِهَا. وَفِي وَقْتٍ لَاحِقٍ فِي الْعَامِ ١٣٤٣، فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ، الْبَابَا كَلِيمَنْتُ السَّادِسُ فِي مَنَشُورِهِ الْبَابَوِيَّ "يُونِيَجِيْنْتِيُو"، أَذْشَأَ عَقِيدَةَ كَنْزِ الْكَنِيسَةِ وَسَمَّحَ بِهَا.

إِذَا، مَعَ هَذِهِ التَّعَالِيمِ التَّارِيخِيَّةِ الصَّادِرَةِ عَنِ الْبَابَوَاتِ، اسْتَطَاعَ كَاجِيْتَانُ أَنْ يُثْبِتَ أَنَّ لُوْتَرُ، وَمِنْ خِلَالِ اغْتِرَاضِهِ عَلَى كَنْزِ الْكَنِيسَةِ وَمَسْأَلَةِ بَيْعِ صُكُوكِ الْغُفْرَانِ، كَانَ فِي صِرَاحٍ مَعَ بَابَوِيْنِ تَارِيخِيَيْنِ. فِي هَذَا الصَّدَدِ، قَالَ لُوْتَرُ "لَكِنَّ هَذَا غَيْرٌ وَارِدٍ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ"، وَتَجَرَّأَ عَلَى تَحْدِي السُّلْطَةِ الْبَابَوِيَّةِ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ، قَائِلًا إِنَّ الْبَابَوَاتِ أَخْطَأُوا بِبَسَاطَةِ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ. يَجِبُ أَنْ تُدْرِكُوا أَنَّ عَقِيدَةَ عِصْمَةِ الْبَابَا مِنَ الْخَطِّ لَمْ تَكُنْ بَعْدُ قَدْ صَدَرَتْ بِشَكْلِ رَسْمِيٍّ. لَمْ يَحْدُثْ

ذَلِكَ إِلَّا فِي الْقَرْنِ الثَّاسِعِ عَشَرَ، فِي مَجْمَعِ الْفَاتِيكَانِ الْأَوَّلِ، فِي الْعَامِ ١٨٧٠، فِي عَهْدِ الْبَابَا يَبُوسِ الثَّاسِعِ. وَبِالطَّبَعِ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْكَنِيسَةَ قَالَتْ إِنَّهَا أَعْلَنْتْ ذَلِكَ فِي الْعَامِ ١٨٧٠، هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّهُمْ آمَنُوا لِلْمَرَّةِ الْأُولَى فِي التَّارِيخِ بِأَنَّ الْبَابَا أَصْبَحَ مَعْصُومًا مِنَ الْخَطَا. فِي الْعَامِ ١٨٧٠، أَصْبَحَ الْأَمْرُ "دِي فِيدِي"، مَسْأَلَةً إِيْمَانٍ، عَقِيدَةً رَسْمِيَّةً فِي الْكَنِيسَةِ، لَكِنْ بِالطَّبَعِ يُقَالُ إِنَّ التَّقْلِيدَ لَطَالَمَا أَبْقَى عَلَى مَفْهُومِ الْعِصْمَةِ مِنَ الْخَطَا.

إِذَا، بَدَأَ لُوْتَرُ فِي نِزَاعٍ مُبَاشِرٍ مَعَ اثْنَيْنِ مِنَ الْبَابَاوَاتِ كَمَا قُلْتُ، فَغَضِبَ كَاجِحِيَتَانُ مِنْهُ كَثِيرًا، وَخَرَجَتِ الْأُمُورُ عَنِ السَّيْطَرَةِ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ بِالْكَادِ تَمَكَّنَ لُوْتَرُ مِنَ الْهَرَبِ مِنْ أَوْغُسْبُرْغِ، لِيَنْجُوَ بِحَيَاتِهِ وَيَرْجِعَ إِلَى فَيْتِنْبُرْغِ. إِذَا، مُجَدِّدًا، وَبِسَبَبِ هَذَا الْجِدَالِ، قَضِيَّةُ عَقِيدَةِ لُوْتَرِ وَالثَّمَمُ الْمَوْجَّهَةُ ضِدَّهُ عَلَى أَنَّهُ مَهْرَطِقٌ تَفَاقَمَتْ، مَا أَدَّى إِلَى النِّزَاعِ التَّالِيِ الَّذِي نَشَأَ فِي الْعَامِ ١٥١٩، فِي لَايْبِرِيغِ. وَفِي تِلْكَ الْمُنَاسَبَةِ، فِي لَايْبِرِيغِ، اجْتَمَعَ لُوْتَرُ مَعَ جُونِ إِيكَ الَّذِي - وَكَمَا ذَكَرْتُ - كَانَ الْأَلَهَوِيِّ الْكَاثُولِيكِيِّ الرَّئِيسِيِّ فِي أَلْمَانِيَا. هَذَا الْجِدَالُ بِالذَّاتِ اتَّخَذَ مِنْحَى مُخْتَلِفًا عَنِ ذَاكَ الَّذِي نَشَأَ فِي أَوْغُسْبُرْغِ مَعَ كَاجِحِيَتَانِ.

فِي هَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ، تَمَكَّنَ إِيكَ مِنْ جَلْبِ تَعَالِيمِ الْمُصْلِحِ الْبُوهِيمِيِّ قَبْلَ مِئَةِ سَنَةٍ، جُونِ هَاسِ، الَّذِي سَبَقَ أَنْ أَلْقَيْنَا نَظْرَةً وَجِيرَةً عَلَيْهِ. وَأَشَارَ إِلَى وُجُودِ عَقَائِدَ مُعَيَّنَةٍ أَدَّتْ إِلَى إِدَانَةِ هَاسِ وَحَرْقِهِ عَلَى عَمُودٍ، وَهِيَ كَانَتْ مُشَابِهَةً لِتَعَالِيمِ لُوْتَرِ، لِأَنَّ هَاسَ حَاوَلَ أَنْ يُثَبِّتَ قَبْلَ مِئَةِ سَنَةٍ أَنَّ السُّلْطَةَ التَّهَائِيَّةَ لِلْكَنِيسَةِ وَالسُّلْطَةَ الْوَحِيدَةَ الْقَادِرَةَ أَنْ تُوثِقَ صَمِيرَ الْمُؤْمِنِ هِيَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ، أَيَّ كَلِمَةِ اللَّهِ. وَبَعْدَ أَنْ اعْتَرَضَ لُوْتَرُ عَلَى سُلْطَةِ الْبَابَا فِي أَوْغُسْبُرْغِ، كَانَ يُنَادِي بِالرَّسَالَةِ نَفْسِهَا.

إِذَا، مِثْلَمَا تَحَايَلُ كَاجِحِيَتَانُ عَلَى لُوْتَرِ وَجَعَلَهُ يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ يَخْتَلِفُ مَعَ اثْنَيْنِ مِنَ الْبَابَاوَاتِ فِي التَّارِيخِ، الْآنَ تَمَكَّنَ إِيكَ بِطَرِيقَتِهِ الذَّكِيَّةِ أَنْ يَجْعَلَ لُوْتَرُ يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ بِأَنَّهُ فِي بَعْضِ الثَّمَمِ الَّتِي وَجَّهَتْهَا الْكَنِيسَةُ إِلَى جُونِ هَاسِ، وَالَّتِي حُرِّقَ بِسَبَبِهَا عَلَى عَمُودٍ، كَانَتْ الْكَنِيسَةُ مُخْطِئَةً. هُنَا تَمَّتْ إِدَانَةُ هَاسِ، لَيْسَ بِبَسَاطَةٍ عَلَى يَدِ أَسْقُفِ حَحْلِيٍّ، بَلْ مِنْ خِلَالِ مَجْمَعِ الْكَنِيسَةِ. وَذَلِكَ الْمَجْمَعُ كَانَ مَجْمَعُ "كُونُستَانْس"، الَّذِي أَدَانَ هَاسَ حَتَّى الْمَوْتِ.

إِذَا، هُنَا تَمَّ التَّحَايُلُ عَلَى لُوْتَرِ لِيَقُولَ إِنَّهُ يُمَكِّنُ لِلْبَابَاوَاتِ أَنْ يُخْطِئُوا، وَلِمَجَامِعِ الْكَنِيسَةِ أَيْضًا، لِأَنَّهُ كَانَ يُوجَدُ قَوْمٌ، حَتَّى قَبْلَ التَّعْرِيفِ الرَّسْمِيِّ لِعِصْمَةِ الْبَابَا مِنَ الْخَطَا، مِمَّنْ يَقُولُونَ إِنَّ الْبَابَاوَاتِ، وَلَيْسَ الْبَابَا فَرْدِيًّا لَكِنَّ الْكَنِيسَةَ وَالْمَجَامِعَ، هِيَ الَّتِي كَانَتْ تَمْلِكُ السُّلْطَةَ الْمُطْلَقَةَ فِي التَّنَظِيمِ الْكَاثُولِيكِيِّ. لَكِنَّ الْآنَ كَانَ لُوْتَرُ قَدْ وَضَعَ الْفَأْسَ عَلَى أَصْلِ شَجَرَتَيْ الْبَابَاوِيَّةِ وَسُلْطَةِ مَجَامِعِ الْكَنِيسَةِ. إِذَا، مُجَدِّدًا تَمَّ تَشْبِيهُهُ لُوْتَرُ بِجُونِ هَاسِ، وَتَمَّتْ تَسْمِيَّتُهُ هَاسَ الْأَلْمَانِي، وَحَصَلَ عَلَى تِلْكَ السُّمْعَةِ.

وَتَرْجِعُ التَّقَارِيرَ إِلَى رُومًا، بِحَيْثُ إِنَّهُ فِي السَّنَةِ الثَّالِيَةِ فِي الْعَامِ ١٥٢٠، أَصَدَرَ الْبَابَا لِيُونُ الْعَاشِرُ "بُول" أَوْ أَمْرًا رَسْمِيًّا بَابُويًّا. لَيْسَ "البُول" حَيَوَانًا بَقْرِيًّا أَوْ ثُورًا. البُولُ عِبَارَةٌ عَنِ مَرْسُومِ كَتَبَهُ الْبَابَا بِسُلْطَنِيَّتِهِ، لِيُنْقَلَ بِمُوجِبِهِ أَمْرًا لِلْكَنِيسَةِ مِنْ خِلَالِ مَنْشُورٍ مَثَلًا. وَكَتَبَ الْبَابَا أَمْرًا رَسْمِيًّا بَابُويًّا يَدِينُ فِيهِ مَارْتِنَ لُوتِرَ بِتُهْمَةِ الْهَرْطَقَةِ. وَجَمِيعُ الْمُنَاشِيرِ الْبَابُويَّةِ تَمَّتْ تَسْمِيئُهَا عَلَى غِرَارِ الْكَلِمَاتِ الْاِفْتِتَاحِيَّةِ فِيهَا بِاللُّغَةِ الْاَلَاتِينِيَّةِ. "هُيُومَانِي غِينِيرِيس" عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، سَمِيَتْ لَكُمْ وَاحِدًا. لَكِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ الْبَابُويُّ يُدْعَى "إِكْسُورْجِي دُومِينِي"، مَا تَرْجَمْتُهُ "قُمْ يَا رَبُّ"، "قُمْ يَا رَبُّ، يُوجَدُ خِنْزِيرٌ بَرِّيٌّ طَلِيْقٌ فِي كَرْمِكَ". ثُمَّ يُتَابِعُ قَائِلًا "قُمْ أَيُّهَا الْقِدِّيسُ بَطْرُسُ، يُوجَدُ مَنْ يَعْترِضُ عَلَى سُلْطَنِكَ"، "قُمْ أَيُّهَا الْقِدِّيسُ بُولُسُ". إِذَا، دَعَا الْبَابَا الْمَسِيحَ إِلَى الْاِنْتِفَاضِ، وَدَعَا الرُّسُلَ إِلَى الْاِنْتِفَاضِ ضِدَّ لُوتِرَ.

فِي هَذَا الْوَقْتِ، كَانَتْ أَعْمَالُ لُوتِرَ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى رُومًا، وَتَمَّ حَرْفُهَا عَلَانِيَّةً فِي سَاحَةِ الْقِدِّيسِ بَطْرُسِ. اسْتَعْرَقَ الْأَمْرُ الْبَابُويُّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ لِيَصِلَ إِلَى فَيْتِنْبُرْغِ، وَحِينَ وَصَلَ، أَحْرَقَهُ لُوتِرُ فِي الْمَوْقِدِ هُنَاكَ فِي فَيْتِنْبُرْغِ. إِذَا، أَصْبَحَتِ اللَّعْبَةُ الْآنَ عَلَى قَدَمِ وَسَاقِ، وَلَمْ يَعُدْ يُوجَدُ مَجَالٌ لِلرُّجُوعِ إِلَى الْوَرَاءِ. لِهَذَا السَّبَبِ، قَامَتِ سُلْطَاتُ الْاِمْبْرَاطُورِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ بِالْتَدَخُّلِ فِي الْمَسْأَلَةِ. وَقَبْلَ أَنْ يَتَوَقَّى الْاِمْبْرَاطُورُ مَآكْسِيْمِلْيَانُ، غَضِبَ بِسَبَبِ الصَّخْبِ الَّذِي كَانَتْ هَذِهِ الثُّورَةُ الْاَلُوتِرِيَّةُ مُخَدِّئَةً، لَيْسَ فِي الْاَلْمَانِيَا فَحَسْبُ، لَكِنَّهَا كَانَتْ قَدْ تَجَاوَزَتِ الْحُدُودَ لِتَبْلُغَ بِلْدَانًا أُخْرَى فِي الْاِمْبْرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ. لَكِنْ طَبْعًا، وَقَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ أَيُّ شَيْءٍ لِيَضَعَ لَهَا حَدًّا، تُوقِي، وَحَلَّ مَكَانَهُ كَمَا رَأَيْنَا سَابِقًا، شَارْلُكَانَ مَلِكُ إِسْبَانِيَا.

ذَكَرْتُ أَنَّ الْبَابَا كَانَ يُحْتَفِ بِفَرِيدِكِ الثَّالِثِ نَاحِبِ سَاكْسُونِيَا لِيَكُونَ الْاِمْبْرَاطُورَ الرُّومَانِيَّ الْمُقَدَّسَ الْجَدِيدَ، بَدَلًا مِنْ فَصَائِلِ فِرَانْسِيْسِ فِي فِرْنَسَا وَشَارْلُكَانَ مَلِكِ إِسْبَانِيَا. فِي الْوَاقِعِ - لَيْسَ الْأَمْرُ مَعْرُوفًا جَدًّا - فِي أَوَّلِ تَصْوِيْتِ لِلنَّاحِبِينَ لَمْ يَنْتَخِبُوا لََا فِرَانْسِيْسِ وَلَا شَارْلُكَانَ وَلَا هَنْرِي الثَّامِنَ، اِنْتَخَبُوا فَرِيدِكِ. وَبِالطَّبَعِ فَرِيدِكِ رَفَضَهُمْ وَأَعْطَى دَعْمَهُ لِشَارْلُكَانَ، الَّذِي أَصْبَحَ آنَذَاكَ اِمْبْرَاطُورَ الْاِمْبْرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ.

خَاصَّ شَارْلُكَانَ حُرُوبًا هُنَا وَهُنَاكَ، وَآخِرُ مَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ هُوَ حُدُوثُ هَذَا التَّوَعُّعِ مِنَ الثُّورَانِ فِي الْكَنِيسَةِ، لِذَا أَلَحَّ عَلَيْهِ قَادَةُ الْكَنِيسَةِ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى عَقْدِ مَجْلِسِ اِمْبْرَاطُورِيٍّ أَوْ "دَايْتِ" اِمْبْرَاطُورِيٍّ، وَهِيَ مُحْكَمَةٌ نَوْعًا مَا يُشْرِفُ عَلَيْهَا الْاِمْبْرَاطُورُ نَفْسُهُ. إِذَا، تَمَّتِ الدَّعْوَةُ إِلَى عَقْدِ دَايْتِ اِمْبْرَاطُورِيٍّ فِي الْعَامِ ١٥٢١، فِي مَدِينَةِ فُورْمَزِ الْاَلْمَانِيَّةِ. ف- و- ر- م- ز. يَفْرَأُ بَعْضُ النَّاسِ ذَلِكَ فِي كُتُبِهِمْ، وَيَرَوْنَ عِبَارَةَ "دَايْتِ فُورْمَزِ" فَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذِهِ طَرِيقَةٌ غَرِيبَةٌ لِحَسَارَةِ الْوُزْنِ، لَكِنَّ الدَّايْتِ هُوَ هَذَا الْمَجْلِسُ التَّشْرِيْعِيُّ الْاِمْبْرَاطُورِيُّ الَّذِي قَامَ الْاِمْبْرَاطُورُ بِدَعْوَةِ لُوتِرَ إِلَيْهِ، وَصَمِنَ لَهُ الْمُرُورَ بِأَمَانٍ لِيَأْتِي وَيَمْضِي يَوْمَهُ التَّهَائِيَّ فِي الْمَحْكَمَةِ لِمُنَاقَشَةِ كِتَابَاتِهِ.

وَمَرَّةً أُخْرَى، وَبِسَدَاجَةِ نَوْعًا مَا، تَوَقَّعَ لُوَثْرُ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنَ الْمُثُولِ أَمَامَ الْكَنِيسَةِ وَتَقْدِيمِ دِفَاعٍ مُنْطَقِيٍّ عَنِ كِتَابَاتِهِ. لَمْ يَبْقُ أَصْدِقَاؤُهُ بِالْإِمْبْرَاطُورِ أَوْ بِالسُّلْطَانِ فِي رُومًا، الَّذِينَ سَيِّئًا تَمَثِيلُهُمْ فِي فُورْمَز، وَحَثُوا لُوَثْرَ بِالْحَاجِ عَلَى عَدَمِ الدَّهَابِ، حَتَّى بَعْدَ أَنْ ضَمِنَ لَهُ الْمُرُورَ بِأَمَانٍ شَارِلْكَانَ الْخَامِسِ الْإِمْبْرَاطُورِ الرُّومَانِيِّ الْمُقَدَّسِ الْجَدِيدِ. وَقَالُوا لَلُوَثْرِ "أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ الْمَدِينَةَ سَتَكُونُ مُمْتَلِئَةً بِأَرْوَاحِ شَرِّيرَةٍ وَسَيَخْرُجُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِيَنَالَ مِنْكَ؟" كَانَ لُوَثْرُ خَبِيرًا فِي أُمُورِ الشَّيْطَانِ، فَكَتَبَ عَنِ اخْتِيَارِهِ بِلا هَوَادَّةٍ مَا أَسْمَاهُ "أَنْفِكَتُونِغ"، هُجُومِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِ بِلا هَوَادَّةٍ.

لَكِنَّهُ كَانَ مُقْتِنًا بِالْحَقِّ الْكَامِنِ فِي تَعْلِيمِهِ الَّذِي كَانَ يَتَضَمَّنُ - حَتَّى ذَلِكَ الْحِينِ - عَقِيدَةَ التَّزْيِيرِ بِالْإِيمَانِ وَحَدَهُ، وَكَانَ عَلَيْهِ الدَّفَاعُ عَنِ تِلْكَ الْأُمُورِ عَلَنًا، وَقَالَ لِأَصْدِقَائِهِ "إِنْ كَانَ عَدَدُ الْأَرْوَاحِ الشَّرِّيرَةِ فِي فُورْمَز يُسَاوِي عَدَدَ الْقِرْمِيدِ الْبُرْتُقَالِيِّ عَلَى اسْطُحِ الْمَدِينَةِ، سَوْفَ أَذْهَبُ". إِنْ سَبَقَ لَكَ أَنْ زُرْتَ أَلْمَانِيَا الشَّرْقِيَّةَ وَبَعْضَ الْمُدُنِ هُنَاكَ، سَتَرَى أَنَّهُ فِعْلِيًّا كَانَ لَدَى كُلِّ بَيْتٍ سَطْحٌ مِنْ قِرْمِيدِ بُرْتُقَالِيِّ، وَبِالتَّالِيِ إِنْ كَانَ عَدَدُ الْأَرْوَاحِ الشَّرِّيرَةِ فِي فُورْمَز يُسَاوِي عَدَدَ الْقِرْمِيدِ الْبُرْتُقَالِيِّ عَلَى السُّطُوحِ، فَهَذَا يَعْنِي وُجُودَ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْأَرْوَاحِ الشَّرِّيرَةِ مُجْتَمِعَةً هُنَاكَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ.

لَكِنَّ لُوَثْرَ وَاثْنَيْنِ مِنَ أَصْدِقَائِهِ قَامُوا بِرِحْلَةٍ مِنْ فِتْنَبُرْغَ إِلَى فُورْمَز، وَاسْتَقَلُّوا عَرَبَةً مُعْطَاةً تَتَحَرَّكُ عَلَى دُولَابَيْنِ. لَا أَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ رَأَيْتُمْ يَوْمًا عَرَبَةً مُعْطَاةً. حِينَ تُفَكَّرُ فِي عَرَبَةٍ مُعْطَاةٍ، فَإِنَّا نُفَكِّرُ فِي الْحُجَّاجِ أَوْ الْمُسْتَكْشِفِينَ، شُعُوبِ الْحُدُودِ فِي بِلَادِنَا الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَقِلُّونَ عَرَبَاتِ الْكُونْدُسُوعَةِ بِأَرْبَعَةِ دَوَالِبِ، مَجْمُوعَةَ الْعَرَبَاتِ الْحَشِيَّةِ الْمُعْطَاةِ ذَاتِ الدُولَابَيْنِ. إِنْ زُرْتَ أوروبَّا يَوْمًا، وَخُصُوصًا أوروبَّا الشَّرْقِيَّةَ، وَتَسَنَّتْ لَكَ فُرْصَةٌ رُؤْيَةِ الْعَرَبَاتِ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا الْعَجْرُ الْيَوْمَ، فَإِنَّكَ تُكُونُ فِكْرَةً عَنِ نَوْعِ وَسِيلَةِ التَّنْقِلِ الْخَطِيرةِ الَّتِي اسْتَقَلَّهَا لُوَثْرُ وَأَصْدِقَاؤُهُ لِلْوُصُولِ إِلَى فُورْمَز.

كَانَ لُوَثْرُ قَلْبًا بِشَانِ مَا يَنْتَظِرُهُ حِينَ يَصِلُ إِلَى هُنَاكَ. لَمْ يَتَوَقَّعْ أَنَّهُ عَلَى بُعْدِ أَمِيَالٍ خَارِجَ مَدِينَةِ فُورْمَز سَتَكُونُ الشَّوَارِعُ مُكْتَظَّةً بِفَلَاحِينَ يَهْتَفُونَ وَيَتَهَلَّلُونَ وَيُسَبِّحُونَ لُوَثْرَ، مَا أَثَارَ تَوَثُّرَ السُّلْطَانِ لَدَى رُؤْيَتِهَا الشَّعْبِيَّةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي كَانَ لُوَثْرُ قَدْ اِكْتَسَبَهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ. فِي النَّهَايَةِ، دَخَلَ إِلَى الْمَجْلِسِ التَّشْرِيْعِيِّ، وَلَمَّا دَخَلَ إِلَى هَذِهِ الْقَاعَةِ الْعَظِيمَةِ حَيْثُ كَانَ الْإِمْبْرَاطُورُ جَالِسًا، وَكَانَ الْمُنْدُوبُونَ الْبَابَوِيُّونَ هُنَاكَ أَيْضًا يُمَثِّلُونَ رُومًا، لَمْ يُنْمَحْ لُوَثْرُ فُرْصَةٌ لِلتَّقَابُلِ. وَالْمُحَقِّقُ الَّذِي كَانَ هُنَاكَ أَيْضًا، وَصَدَفَ أَنَّهُ كَانَ يُدْعَى إِيْكَ، وَهُوَ لَيْسَ إِيْكَ نَفْسَهُ الَّذِي تَجَادَلُ مَعَهُ فِي لايبزِنِغ. وَكَانَتْ هُنَاكَ طَاوِلَةٌ فِي وَسْطِ الْقَاعَةِ، وَكَانَتْ قَدْ تَكَدَّسَتْ عَلَيْهَا الْكُتُبُ وَالْكِتَابَاتُ الَّتِي كَانَ لُوَثْرُ قَدْ كَتَبَهَا خِلَالَ فِتْرَةٍ زَمْنِيَّةٍ قَصِيرَةٍ. لَمْ يَقْدِرِ النَّاسُ أَنْ يُصَدِّقُوا كَمَّ كِتَابًا كَتَبَ مِنْذُ بَدَايَةِ الْمَسْأَلَةِ حَتَّى مُحَاكَمَتِهِ الْآنَ فِي فُورْمَز.

لَكِنَّ بَأْيِي حَالٍ، قَالَ الْمُحَقِّقُ لِلُوَثْرِ "هَلْ هَذِهِ كُتُبُكَ أَنْتَ؟" فَاجَابَ "نَعَمْ"، فَقَالَ لَهُ إِيْكَ "يَجِبُ أَنْ تَقُولَ أَمَامَ السُّلْطَانِ الْمَجْتَمِعَةِ هُنَا الْيَوْمَ "رَيْفُوكُو"، أَيْ "أَنَا أَرْجِعُ عَمَّا كَتَبْتُهُ هُنَا" فَقَالَ لُوَثْرُ "مَا الَّذِي تُفَكِّرُ فِيهِ تَحْدِيدًا؟ أَنَا كَتَبْتُ عَنْ سَنَى أَنْوَاعِ الْمَوَاضِيْعِ، وَعَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْهَا لَا يَتَضَارَبُ مَعَ التَّعْلِيمِ الْكَلَّاسِيكِيِّ لِلْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ. مَا هِيَ الْمَسَائِلُ

المُحَدِّدَةُ الَّتِي لَدَيْهِمْ؟" فَقَالَ إِيكَ "لَا يَهُمُّ. قُلْ فَقَطْ "رَيْفُوكُو" "نُرِيدُ أَنْ نُجِيبَنَا الْآنَ "نُونُ كُورْنُونُوم"، أَيُّ بَدُونِ جِدَالٍ. نُرِيدُ جَوَابًا مُبَاشِرًا". فَسَادَ صَمْتٌ عَظِيمٌ فِي الْمَكَانِ، فَدَدَ لُوْتِرٌ عَلَى إِيكَ بِصَوْتٍ غَيْرِ مَسْمُوعٍ، فَقَالَ إِيكَ "ارْفَعْ صَوْتَكَ! مَاذَا قُلْتَ؟" هَذَا هُوَ الْجُزْءُ الَّذِي لَمْ يَرِدْ فِي فِيلْمِ هُولِيوود.

بِالْمُنَاسَبَةِ، وَبَيْنَ هِلَالَيْنِ إِنْ رَأَيْتُمْ نُسخَةَ هُولِيوود لِفِيلْمِ لُوْتِر، أَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ بَرَعُوا فِي اخْتِيَارِ أَدْوَارِ الْمُتَمَثِّلِينَ الَّذِينَ أَحَاطُوا بِلُوْتِرٍ، وَأَخْفَقُوا فِي تَصْوِيرِ شَخْصِ مَارْتِنِ لُوْتِر. لَكِنَّ أَحَدَ أَهَمِّ الْمَشَاهِدِ هُنَاكَ هُوَ الْمَشْهَدُ الَّذِي يُصَوِّرُونَ فِيهِ الْإِمْبْرَاطُورَ شَارْلُكَانَ يَرْكَبُ خَيْلًا وَيَسْعَى إِلَى اضْطِيَادِ خِنْزِيرٍ. وَمُعْظَمُ النَّاسِ الَّذِينَ شَاهَدُوا ذَلِكَ الْفِيلْمَ لَمْ يَفْهَمُوا الْمَعْرَى مِنْ رُكُوبِ الْبَابَا الْحَيْلِ، مُحَاوِلًا قَتْلَ خِنْزِيرِ بَرِّي فِي الْكُرْمِ.

لَكِنَّ بِأَيِّ حَالٍ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ "أَجِبْنَا نُونُ كُورْنُونُوم"، أَيُّ بَدُونِ جِدَالٍ. فَقَالَ لُوْتِرٌ "أَيْمَكِنْ مَنْجِي مُهَلَّةَ ٢٤ سَاعَةً لِأَفْكَرَ مَلِيًّا فِي الْأَمْرِ؟" كَانَ قَدْ حَصَلَ عَلَى أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ لِيَفْكَرَ مَلِيًّا فِي الْأَمْرِ، وَدَخَلَ هَذَا الْمَجْمَعُ وَكُلُّ هَذَا التَّقَاشِ، وَالْآنَ فِي وَقْتِ الْأَزْمَةِ، تَلَعَّمَتْ. فَوَافَقُوا عَلَى إِعْطَائِهِ مُهَلَّةَ ٢٤ سَاعَةً، حِرْصًا عَلَى أَنْ يُحْضَرَ فِي الْيَوْمِ التَّالِي. فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فِي غُرْفَتِهِ، كَتَبَ لُوْتِرٌ قَصِيدَةً، لَيْسَ قَصِيدَةً بَلْ كَتَبَ صَلَاةً. أَوْدُ أَنْ أَفْرَأَهَا عَلَيْكُمْ الْآنَ، لِأَنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّهَا وَاحِدَةٌ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْأَكْثَرِ إِثْرَةً لِلْمَشَاعِرِ الَّتِي قَرَأْتَهَا يَوْمًا فِي حَيَاتِي.

لُوْتِرٌ وَحْدَهُ فِي غُرْفَتِهِ، غُرْفَةٍ رَهْبَانِيَّةٍ، بِانْتِظَارِ الْعَدِ حِينَ سَيَتِمُّ تَحْدِيدُ مَصِيرِهِ، صَلَّى هَذِهِ الصَّلَاةَ "يَا اللَّهُ، أَيُّهَا الْإِلَهَ الْقَدِيرُ السَّرْمَدِيُّ، كَمْ أَنْ هَذَا الْعَالَمُ مُرْعَبٌ. انظُرْ كَيْفَ يَفْتَحُ فَمَهُ لِيَبْتَلِعَنِي، وَيَا لَضَعْفِ إِيْمَانِي بِكَ. يَا لَضَعْفِ الْجَسَدِ وَقُوَّةِ الشَّيْطَانِ. إِنْ كَانَ عَلَيَّ الْاِتِّكَالُ عَلَى أَيِّ قُوَّةٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ، يَنْتَهِي كُلُّ شَيْءٍ، وَيُضْرَبُ النَّافُوسُ وَيَخْرُجُ الْحُكْمُ. يَا اللَّهُ، يَا إِلَهِي، سَاعِدْنِي لِأُواجِهَ كُلَّ حِكْمَةِ هَذَا الْعَالَمِ. أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ بِقُوَّتِكَ، لِأَنَّ الْعَمَلَ لَيْسَ عَمَلِي أَنَا بَلْ عَمَلُكَ أَنْتَ. لَا مَصْلَحَةَ لَدَيَّ هُنَا. لَيْسَ لَدَيَّ مَا أَنُضِلُّ لِأَجْلِهِ مَعَ عُظَمَاءِ الْعَالَمِ. أَوْدُ بِسُرُورٍ أَنْ أَمْضِيَ أَيَّامِي بِسَعَادَةٍ وَسَلَامٍ، لَكِنَّ الْقَضِيَّةَ قَضَيْتُكَ أَنْتَ، وَهِيَ صَالِحَةٌ وَأَبْدِيَّةٌ. يَا رَبُّ سَاعِدْنِي. أَيُّهَا الْإِلَهَ الْأَمِينُ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ أَنَا لَا أَتَّكِلُ عَلَى إِنْسَانٍ، لِأَنَّ الْأَمْرَ عَدِيمُ الْفَائِدَةِ. كُلُّ عَمَلِ الْإِنْسَانِ يَتَدَاعَى. لَا بُدَّ لِكُلِّ مَا يُصْدَرُ عَنْهُ أَنْ يَفْشَلَ. إِلَهِي، إِلَهِي أَلَا تَسْمَعُنِي؟ أَلَمْ تَعُدْ حَيًّا؟ لَا، لَا يُمْكِنُ أَنْ تَمُوتَ. أَنْتَ لَا تَحْتَيِبُنِي. أَنْتَ اخْتَرْتَنِي لِهَذَا الْعَمَلِ، أَنَا أَعْرِفُ ذَلِكَ. لِيَا رَبُّ تَمِّمْ مَشِيئَتَكَ. لَا تَتْرُكْنِي لِأَجْلِ ابْنِكَ الْحَبِيبِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ جِهَاتِي وَتُرْسِي وَحْضَنِي. يَا رَبُّ، أَيْنَ أَنْتَ؟ يَا إِلَهِي، أَيْنَ أَنْتَ؟ أَصَلِّي أَنْ تَأْتِي. أَنَا مُسْتَعِدٌّ. هَا أَنَا مُسْتَعِدٌّ لِبَدْلِ حَيَاتِي لِأَجْلِ حَقِّكَ، وَلِلتَّامُّ كَحَمَلٍ، لِأَنَّ الْقَضِيَّةَ مُقَدَّسَةٌ، إِنَّهَا قَضِيَّتُكَ أَنْتَ. لَنْ أُطْلِقَكَ إِلَى الْأَبَدِ حَتَّى إِنْ كَانَ الْعَالَمُ مَلِيًّا بِالْأَرْوَاحِ الشَّرِّيرَةِ. وَهَذَا الْجَسَدُ، الَّذِي هُوَ عَمَلُ يَدَيْكَ، طُرِحَ أَرْضًا وَوُضِعَ تَحْتَ الْأَقْدَامِ، وَقُطِعَ إِلَى أَجْزَاءٍ وَاحْتَرَقَ وَصَارَ رَمَادًا. نَفْسِي لَكَ، وَكَلِمَتُكَ تَضْمَنُ لِي ذَلِكَ. نَفْسِي لَكَ، وَهِيَ ثَابِتَةٌ فِيكَ إِلَى الْأَبَدِ، آمِينَ. يَا اللَّهُ أَرْسِلْ عَوْنَكَ، آمِينَ".

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي تَمَّ اقْتِيادُهُ مُجَدِّدًا إِلَى قَاعَةِ الْجَمَاعِ، وَقَالُوا لَهُ "الآنَ يَا لُوَثْرُ، هَلْ سَتَرْجِعُ عَنْ أَقْوَالِكَ؟ هَلْ سَتَقُولُ "ريفوكو"؟" فَقَالَ لُوَثْرُ "بِمَا أَنْتُمْ طَلَبْتُمْ مِنِّي أَنْ أَرُدَّ بِوُضُوحٍ وَبِدُونِ جِدَالٍ، هَذَا مَا سَأَفْعَلُهُ. مَا لَمْ أَقْتَنِعْ مِنْ خِلَالِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ أَوْ لِسَبَبٍ وَاضِحٍ، لَا يُمَكِّنُنِي الرَّجُوعُ عَنْ أَقْوَالِي، لِأَنَّ ضَمِيرِي مَأْسُورٌ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَالْعَمَلُ ضِدَّ ضَمِيرِي لَيْسَ صَائِبًا وَلَا آمِنًا. هَذَا هُوَ رَأْيِي. لَا يُمَكِّنُنِي فِعْلُ غَيْرِ ذَلِكَ. يَا رَبُّ، سَاعِدْنِي". كَانَتْ هَذِهِ نُقْطَةُ التَّحَوُّلِ فِي الْإِصْلَاحِ الثُّرُوتِسْتَانِيَّ.

لَدَى سَمَاعِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ اسْتَشَاطَ الْحُضُورُ غَضَبًا وَتَشْوِيشًا، وَأَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يُمْسِكَ بِلُوَثْرٍ وَأَنْ يُعِدِمَهُ عَمْدًا بِدُونِ أَيِّ وَجْهِ حَقٍّ. لَكِنَّ لَمَّا غَادَرَ الْقَاعَةَ، نَظَّمَ أَصْدِقَاؤُهُ عَمَلِيَّةَ خَطْفٍ وَهَمِيَّةً، وَقَادُوهُ خُلْسَةً عَبْرَ الْعَابَةِ إِلَى قَصْرِ فُورْتْبُرْغ، حَيْثُ عَمِلَ طَوَالَ سَنَةٍ عَلَى تَرْجِمَةِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ إِلَى اللُّغَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ، مُتَنَكِّرًا بِشَخْصِيَّةِ فَارِسِ "سِير يُونِغِي". فِي مُحَاضَرَتِنَا الْمُقْبِلَةِ سَنَتَطَرَّقُ إِلَى اللَّاهُوتِ الَّذِي كَانَ مَوْضِعَ نِزَاجٍ هُنَا، بَدَأَ بِفَهْمِ عَقِيدَةِ التَّبَرِيرِ فِي لَاهُوتِ الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سَبْرُولُ هُوَ مُؤَسَّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيرِ، وَكَانَ أَحَدَ رِعَاةِ كَنِيسَةِ الْقَدِّيسِ أَنْدْرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسٍ لِكُلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلْإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ مُؤَلَّفٌ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُنَّا لَاهُوتِيُونَ" (Everyone's A Theologian).